

مجلة أنثروبولوجية (الأوبان) المجلد 21 العدد 01 2025/01/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

"أنثروبولوجية الخرقة الصوفية وأبعادها الدينية"

The anthropology of the Sufi rag and its religious dimensions

د. عمارية سنوساوي[†]

¹جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان (الجزائر)

ammariya13@gmail.com

تاريخ القبول: 2024/11/23

تاريخ الاستلام: 2024/09/23

ملخص:

يتناول هذا المقال أنثروبولوجية الخرقة الصوفية وأبعادها الدينية، فهي تتعدى شكلها الظاهر كونها لباسا يلبس، أو عمامة يعتّم بها، أو قطعة قماش يتبرك بها إلى ما هو أعمق. فالخرقة لها خصوصيتها في الفكر الصوفي فهي علامة زهد في زخرف الحياة، وإماتة لشهوة الملذات، وصبر على أذى الناس، وكبح لتكبر النفس وغرورها، ورباط أساسي بين المريد وشيخه الذي ألبسه الخرق، فتولى بذلك تربيته الروحية، إذ يساعده في الانتقال من التخلية إلى التحلية، ويقصر عليه المسافات في طريق السلوك، فيعرفه بالأحوال ويرتقي به إلى مقام الوصول. وهي بمثابة شهادة تثبت انتساب الصوفي للطريقة، واتصاله بشيوخها.

الكلمات الدالة: التصوف؛ الخرق؛ الأنثروبولوجية الدينية؛ الشيخ؛ المريد.

Abstract:

This article deals with the anthropology of the woolen rag and its religious dimensions as it goes beyond its apparent form as a garment to be worn, a turban to be covered with, or a piece of cloth with which to seek blessings to something deeper. The rag has its own peculiarity in the Sufi thought, as it is a sign of asceticism in the adornment of life, and the death of lust for pleasures, patience in the harm of people, a restraint for the arrogance of the soul, and an essential link between the aspirant and his sheikh wore him the rag, and thus assumed his spiritual education. It helps him to move from liberation to adornment thus. He shortens the distances for him on the way to the way to the path of conduct, so he explains to him the squint and ascends him to the station of arrival. It serves as certificate proving the Sufis affiliation to the method, and his connection with his sheikhs.

Keywords: Mysticism; Rags; Anthropology Religious; Sheikh; Disciple.

[†] المؤلف المرسل: عمارية سنوساوي، الإيميل: ammariya13@gmail.com

مقدمة:

إذا كان الهدف الرئيس من اللباس هو ستر العورة فهو أيضا زينة، وهو تعبير عن ثقافة الشعوب ورمز لمعتقدات الأشخاص وقناعاتهم، ولقد ارتبط التصوّف بنوعية من اللباس منذ البدء إذ كانت بذوره الأولى بالزهاد الذين اتخذوا من الصوف لباسا فنسبوا له فصيل صوفي من لبسه للصوف، قال القناد رحمه الله: "التصوّف اسم وقع على ظاهر اللبسة وهم متفاوتون في معانيهم و أحوالهم" (الطوسي، 2008، صفحة 52)، وعقب على ذلك الطوسي بقوله: "وأما من قال اسم واقع على ظاهر اللبسة فقد روي في ذلك أخبار في ذكر من لبس الصوف واختار لبسه من الأنبياء والصالحين" (الطوسي، 2008، صفحة 53)، فالصوفي طالب لطريق الكمال الروحي، يأخذ نفسه الأمانة بالسوء بالشدّة حتى يردّها عن غيها ويفطمها عن تعلقاتها الأرضية "ويكون الخلقان أحب إليه من الجديد، ويتبرم بالثياب الكثيرة الجيدة، ويضن بالخرىقات الخلق القليلة، ويتكلف للنظافة والطهارة" (الطوسي، 2008، صفحة 220)، فلبس الخرق فيه إمانة للتكبر والغرور، والعجب وهي أدواء إذا ما سكن لها العبد أدت به إلى التهلكة. فملبوس المتصوف يحمل دلالات ومعاني خفية ورموز لا يهتدي إليها إلا من عرف القوم أو اتّبع طريقهم، ولقد حدد أبو حامد الغزالي الصفات الخمس التي تميز الصوفي فجمعها في: "الصلاح، والفقر، وزيّ الصوفية، وأن لا يكون مشغلا بحرفة، و أن يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة في الخانقاه" (الغزالي، 2016، صفحة 583). فمع تطور الصوفية وانتقالها من ممارسة تعبدية فردية يعتمد فيها العابد على اجتهاده الخاص في الحد من رعونة النفس، وطلب رضا الخالق، والانقطاع لعبادته، إلى شكل جماعي متمثلا في الطرق الصوفية التي تحتفي بطقوسها المتوارثة ومن بينها أخذ العهد بلبس الخرق، والتي تستوجب تفسيراً أنثروبولوجيا لتطورها عبر العصور في مسار تطور الحركة الصوفية، وعليه فإننا نتساءل: ما هي الدلالات الدينية والأنثروبولوجية للخرقة الصوفية؟ ولهذا نضع الفرضية العامة لهاته الإشكالية بالقول: للخرقة الصوفية دلالات دينية أنثروبولوجية عند بعض الطرق الصوفية وقد اعتمدنا في مقاربتنا التحليلية المنهج الوصفي لاستعمالات الخرق في الممارسة الصوفية ودلالاتها الدينية.

1- أنثروبولوجيا اللباس الديني:

إنّ اللباس من أبرز سمات ثقافة الشعوب، فهو من الحاجات الأساسية للإنسان، إذ أنّه أول ما سعى إليه آدم وحواء حين انكشفت لهما سواتهما بعدما أكلا من الشجرة التي نهيها عنها. قال تعالى: ﴿فَأَكَلَا

مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهَا سَوَآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ... ﴿[الأعراف:22]﴾، فالستر هو أول وظيفة كانت للباس، والتي سرعان ما تعددت حسب حاجات الإنسان وتطور أفكاره، وبناء مجتمعه ويمكن أن نجمل وظائفه في (الستر، الحماية، الزينة والجمال، الانتماء، الدين).

فكان الإنسان في البدء لا يبغي من اللباس سوى الستر لكن عندما سكن الأرض وتعرض لاختلاف بيئاتها وتغير مناخها، أصبح اللباس يؤدي وظيفة الحماية من الحرّ و القُرّ، وتطور المجتمعات، واختلاف الثقافات صار اللباس تعبيراً وتأكيداً للارتباط بجماعة معينة والانتماء لشعب بعينه، لأن ذلك الزيّ بالأخص التقليدي يحمل إرثاً فكرياً وإبداعاً جمالياً خاصاً بكل مجتمع مميز له، وربما غالى الإنسان في الاهتمام بملبسه فجاءت الشرائع السماوية مهذبة له.

فكتاب العهد القديم حدد لباس الكهنة في قوله: "وتلبسهم قمصانا وتشدهم بالأحزمة وتلبسهم القلائس فيكون لهم الكهنوت إلى الأبد" (الفغالي و عوكر، 2007، صفحة 137). أمّا العهد الجديد والذي أولى للروح مكانة دون الجسد فقد زهد في اللباس "لا يهتمكم لحياتكم ما تأكلون وما تشربون، ولا ما تلبسون" (الإنجيل، صفحة 13)، فالسمو الروحي هو الغاية والمطلب "وأقول لكم: اسلكوا في الروح ولا تشبعوا شهوة الجسد. فما يشتهي الجسد يناقض الروح" (الإنجيل، صفحة 329) ووصف يوحنا بأنه كان "يلبس ثوباً من وبر الجمال، وعلى وسطه حزام من جلد" (الإنجيل، صفحة 61)، فخشونة اللباس والزهد هو سمة رجال الدين، كما أنّ تسمية الحواريين جاءت من اللباس كونهم "كانوا قصّارين يحورون الثياب أي يبيّضونها" (السيوطي و المحلي، 2008، صفحة 56)، أما الإسلام فهو دين جمع بين الروح والجسد ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَآتِكُمْ وَرِشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ...﴾ ﴿[الأعراف:26]﴾، فالآية الكريمة تجمع بين وظيفتي الستر والجمال ولباس التقوى خير من ذلك، ولم يحدد الإسلام زيّاً خاصاً برجال الدين لأن المسلم مهما كان جنسه أو وظيفته فهو يمثل الدين بعلاقته بربه وبمعاملاته مع الناس، وجعل المسجد جامع لكل المسلمين وأمرهم بأن يتجملوا له. قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿[الأعراف:31]﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: {كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا، في غير إسراف ولا مخيلة} (البخاري، 2002، صفحة 1464)، فلمنهي عنه هو الإسراف، والمخيلة، كما نهى عليه الصلاة والسلام عن لبس الحرير للرجال وجلود السباع فقد أورد البخاري عن معاوية بن سويد بن مقرن عن ابن عازب قال: {نهانا النبي ﷺ عن المياثر الحمر وعن القسي} (البخاري، 2002، صفحة 1475)، فلم يوصف

للمسلم لباس معين في المناسبات ولا غيرها، ولم يأمر بطقوس خاصة عند لبسه إلا بعد ظهور بعض الطرق الصوفية التي تجمع مريديها وتوثق صلتهم بها بأخذ العهد ولبس الخرقة، وهذا له دلالات أنثروبولوجية فبين "معظم الشعوب نجد طقوسًا متطابقة ذات هدف واحد وفي جميع أنواع الاحتفالات" (Van Gennep, 193, p. 2014) وهي ذات أثر بالغ في ترسيخ المعتقدات ورفع الشحنة الإيمانية للأفراد، وخلق الترابط بينهم للحفاظ على وحدة مجتمعاتهم.

2- التعريف بالخرقة:

أ- لغة:

جاء في "لسان العرب" الخرقة: القطعة من خرق الثوب، والخرقة من المِرْقَةُ منه. وخرقت الثوب إذا شققته " (ابن منظور، صفحة 73)، ويرى صاحب "التوقيف على مهمات التعاريف" أنّ الخرقة هي ذات "الخرق الفاحش من الثوب يستنكف أوساط الناس من لبسه مع ذلك" (الناوي، 1990، صفحة 154) وهذه المقصودة عند الصوفية وليست القطعة من الثوب ذات الخرق القليل والذي "لا يفوت به شيء من المنفعة بل يدخل فيه نقص عيب مع بقاء المنفعة وهو تفويت الجودة فقط". (الناوي، 1990، صفحة 154). ولفظ خرق يدل على "قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تفكير ولا تدبر". (الناوي، 1990، صفحة 154) قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: 71]، ويفسر ابن كثير قول الحقب قوله: "قام الخضر فخرقها، استخرج لوحا من ألواحها، ثم رقعها" (ابن كثير، 2000، صفحة 1167) ف كلمة خرقها يعني أحدث بها خرقا ثم رقعها، ومنه يمكننا القول أنّ الخرقة هي خرقة لخرقها وهي المرقعة لترقيعها بخرق فكلاهما واحد. أما الخرقة (بالإنجليزية: Woden garment) و(بالفرنسية: Vêtement de laine). (Kamel, 1993, p. 292).

ب- اصطلاحاً:

الخرقة (Woden garment) شعار الصوفي، و مصدر فخره واعتزازه "يلبسها الشيخ مريده علامة على التقويض والتسليم، ولا يمنحها إياه إلا بعد أن تنقضي مرحلة رياضة خاصة" (الموسوعة العربية، صفحة 1435) وهي ليست بهيئة مخصوصة فتكون "من الثياب المباحة رفيعة أو غليظة حسنة أو خشنة من صوف أو كتان أو غيرها". (القاقجي، صفحة 8)

وروي عن حاتم بن يوسف الأصم (ت 237هـ) - هو من أكابر مشايخ خرسان، قيل: لم يكن أصم، وإنما تصامم مرة فسمي به- قوله: "من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت: موتاً أبيضاً وهو الجوع.

وموتاً أسوداً، وهو: احتمال الأذى من الخلق.

وموتاً أحمر، وهو: العمل الخالص من الشوب في مخالفة الهوى.

وموتاً أخضر، وهو طرح الرقاع بعضها على بعض". (ابن هوازن القشيري، 2005، صفحة 42، 43)

فالمرید علیه أن يمیت فی نفسه متعلقات الدنيا من شهوة الطعام أو حب الظهور أو التكبر والغرور، فهو مخالف لهوى النفس، مؤدبها بما تكرهه، فإن صبر على ذلك وصار باطنه صافياً من الشوائب أظهر ذلك على ظاهره بلبس الخرق.

3- العهد ولبس الخرق:

يقترن أخذ العهد في بعض الطرق الصوفية باللباس الخرق للمرید مثل الطريقة الشاذلية، والقادرية وغيرهما، فأول التصوف تخلي النفس عن مذموم الأخلاق وتحليها بالمكارم وأحسن الصفات، والحد من رغبتها، وتأديبها بالرياضات والمجاهدات لتفوز بالمشاهدات، والذي يساعد المرید في اجتياز الطريق هو الشيخ، واشتروطوا فيه أن يكون عارفاً بأدواء النفوس خبيراً بوصف الدواء حسب الحال ومقتضى المقام، يقول عبد الواحد بن عاشر (ت 1040هـ):

"يُصَحَّبُ شَيْخًا عَارِفَ الْمَسَالِكِ يَقِيهِ فِي طَرِيقِهِ الْمَهَالِكِ
يَذْكُرُهُ اللَّهُ إِذَا رَأَاهُ وَيُوصِلُ الْعَبْدَ إِلَى مَوْلَاهُ"

(ابن عاشر، 1343هـ، صفحة 29)

فاتصال المرید بالشيخ ضروري في سلوك الطريق الصوفي ويتلقى كل شيخ عن قبله في الطريقة ويأخذ العهد والذي تتمثل حقيقته في "العزم على تحقيق الصلة بين العبد المعاهد والحق تعالى من أجل أن يرقى إلى مستوى العهد الأول الذي جرى في عالم الأرواح بين ذرية آدم والحق تبارك وتعالى" (ضاري، 2012، صفحة 221) فالصوفية يرون أنّ العهد عهدان:

1- العهد الأول هو العهد الذي أخذه الله على عباده في أول الخلق حين أشهدهم على نفسه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 172].

2- العهد الثاني هو عهد المريد مع شيخه في أن يؤدي حقوق سلوك طريقته، ويتم باتفاق الطرفين (الشيخ، المريد) ويدل على ذلك بصيغ كثيرة منها المصافحة أو مناولة السبحة أو لبس الخرقة. فالمريد إذا دخل في عهد القوم وجب عليه "فعل ثلاثة أمور، تغيير الحلاس، يعني الثياب، والجلاس يعني الذين يشغلونه عن الله، والأنفاس فيصير يحذر من تضييع نفس واحد من أنفاسه في غير طاعة الله" (الشعراني، 1988، صفحة 91)، لأن المريد إذا سعى لخلع الدنيا من قلبه فإنه يزهد في ملذاتها فيؤدب نفسه بتركها تشتت من حب الظهور والزهو والعجب والافتخار. ويذكر صاحب درر الغواص أنه سمع من إبراهيم المتبولي قوله: "ما في قلب العبد يظهر على وجهه، وما في نفسه يظهر في ملبوسه، وما في عقله يظهر في عينيه، وما في سره يظهر في قوله، وما في روحه يظهر في أدبه. وما في جسده يظهر في حركته". (الشعراني، 1998، صفحة 51) وذكر عن سليمان الداراني (ت 215هـ) "أنه لبس قميصا أبيض، يعني غسيلا، فقال له أحمد: لو لبست قميصا أجود من هذا، أو كما قال، فقال له: يا أحمد، ليت قلبي في القلوب مثل قميصي في الثياب". (الطوسي، 2008، صفحة 219)

وارتباط المريد بشيخه يعبر عنه بلبس خرقة، وبحكمه في نفسه التي يبغى لها الارتقاء والسمو، ويرد السهروردي (ت 632هـ) على المعارضين لهذا التسليم بقوله: "فماذا ينكر المنكر للباس الخرقة على طالب صادق في طلبه، يتقد شيخا بحسن ظن وعقيدة، يحكمه في نفسه لمصالح دينه، يرشده ويهديه، ويعرفه طريق المجاهد، ويبصره بأفات النفوس، وفساد الأعمال، ومداخل العدو" (السهروردي، 2006، صفحة 108). فلبس الخرقة هو علامة لارتباط المريد بشيخه الذي اختاره لتربيته على طريق الله "ففي الخرقة معنى المباينة، والخرقة عتبة الدخول في الصحبة" (السهروردي، 2006، صفحة 108) فهي باب الدخول في الطريقة، وهي تسليم لشيخها، فيتولاها بوصف الأذكار التي تطوي له مقامات الوصول.

4- أنواع الخرقة عند الصوفية:

الخرقة عند أهل التصوف ثلاثة أنواع وهي:

(1) خرقة مجازية: وهي التي تمنح للمريد وهولا زال في مرحلة التعرف على الطريق.

"تَعَلَّقْ بِأَذْيَالِ الْكَرَامِ تَجِدْ غِنًى" ❁
وَيَأْتِي لَكَ الْخَيْرُ يَسْعَى وَتَرَبِّحُ ❁
وَالْبَاسُ لَهُمْ إِيَّاكَ أَوَّلَ فَتَحِهِمْ ❁
فَمِنْ يَدِهِمْ فَالْبَسْ لَعَلَّكَ تَنْجَحُ"

(ابن عبد الهادي، 2002، صفحة 152)

(2) خرقه جوازية: وهي عبارة عن جواز مرور للتزوية الروحية بتسليم المريد نفسه لشيخه فيصف له ما يصلح حاله من الرياضات والمجاهدات.

يقول ابن عربي (ت: 638هـ):

"يَا لَا بِسَاءَ خِرْقَةٍ التَّصَوَّفُ مَا" ❁
إِنْ كُنْتَ مِنْ عُصْبَةٍ مَنْزَهَةٍ ❁
فَأُمُوا عَلَى عِقَّةٍ وَمُسْعَبَةٍ ❁
عَلَيْكَ فِيمَا لَبِسْتَهُ خَرَجُ ❁
قَدْ عَرَفُوا ذَاتَهُمْ وَمَا مَرَجُوا ❁
تُهْلِكُ حَتَّى أَتَاهُمُ الْفَرَجُ"

(ابن عربي، 1996، صفحة 54)

(3) خرقه إجازية: وهي شهادة تثبت نجاح المريد في تجاوز العقبات، ورضا الشيخ عنه فأجازه بإلباسه خرقته.

"تَخَصَّنُوا بِالْعِلْمِ حِينَ عَلُوا" ❁
فَانْظُرُوا إِلَى خَالِهِمْ وَحِيلَتِهِمْ ❁
وَادْخُلُوا مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي دَخَلُوا ❁
وَحَصَّنْهُمْ بِالشُّهُودِ إِذْ عَرَجُوا ❁
وَحَصَّنْ تَقْدِيسَهُ الَّذِي وَلَجُوا ❁
تَخْرُجُ بِالْحِلْيَةِ الَّتِي خَرَجُوا"

(ابن عربي، 1996، صفحة 55)

فالمجازية هي لمن أحب الطريق وأهله فهي تلبس على سبيل المجاز، أما الجوازية فهي للمريد جواز يسهل له الوصول إلى مراده في الالتحاق بأهل الله، أما الإجازية فهي دليل على الوصول " فالخرقة الأولى لطلابها رعاية، والثانية لأصحابها هداية، والثالثة لأربابها ولاية". (الغماري الحسني، 1969، صفحة 144)

فالأولى والثانية لا تلزم صاحبها بشيء فهي خرقه تبرك لذلك نجد بعض الصالحين يلبسون أكثر من خرقه لطرق متعددة أما الثالثة فهي خرقه عهد وميثاق.

5- إسناد الخرقه:

إن أهل التصوف يرجعون أصل الخرقه إلى آدم عليه السلام فقد فسر ابن عجيبة قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ رَقٍّ خَلْقًا﴾ [الأعراف: 22]، فقال: "أخذوا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة ليستترا به قيل ورق التوت، و آدم أول من لبس المرقعة" (ابن عجيبة، 1999، صفحة 206)، لذلك فهم يرون الخرقه هي الأصل وهي اللباس الذي لا يبغى لابس من وراءه إلا وجه الله تعالى.

ويجعلون أول خرقه هي الخرقه المحمدية والتي لبسها النبي عليه الصلاة والسلام في السماء السابعة ليلة المعراج، ويوردون حديث النبي عليه الصلاة والسلام: "وأدخلني الجنة فرأيت قصرا من ياقوت أحمر فيه صندوق من نور... ثم فتح الصندوق فأخرج منه خرقه الفقراء ولبسها. قال: يا حبيب رب العالمين، يا محمد: قد أمرني ربي سبحانه وتعالى أن ألبسها لك" (البدر، صفحة 118)، فيجمع أهل الطرق على أن أصل الخرقه يرجع إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويؤكد ذلك الواسطي بقوله: "إن خرقه القوم أهل الطريقة الواصلين بعرفاتهم إلى الحقيقة تتصل بالأسانيد المرضية إلى سيد البرية لا يقدح باتصالها إلا الحاسد أو المكابر المعاند". (ابن عبد المحسن الأنصاري، صفحة 2)

ولكن ابن تيمية (ت: 728هـ) يفند إسنادها للرسول صلى الله عليه وسلم إذ يقول: "وأما لباس الخرقه التي يلبسها بعض المشايخ المريد: فهذه ليس لها أصل يدل عليها الدلالة المعتبرة من جهة الكتاب والسنة ولا كان المشايخ المتقدمون و أكثر المتأخرين يلبسونها الميردين" (ابن تيمية، صفحة 511). بيد أن المتصوفة يؤكدون إسنادها للنبي علي السلام ويؤكدون ذلك بحديث أم خالد بنت خالد قالت: {أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتياب فيها خميصه سوداء، قال من ترون نكسوها هذه الخميصة؟ فأسكت القوم. قال اثتوني بأمر خالد فأتي بي النبي صلى الله عليه وسلم، فألبسنيها بيده وقال: أبلي وأخلقني...} (البخاري، 2002، صفحة 1477)، فهذا الحديث الشريف الذي أورده البخاري في باب ما يدعى لمن لبس ثوبا جديدا فهو لا يقصد به الخرقه التي لبسها عليه الصلاة والسلام في السماء السابعة والتي تذكر بعض الروايات بأنه صلى الله عليه وسلم أوصى بإهدائها لأويس القرني، حيث تذكر بعض الروايات أن بردة النبي أوصى بإهدائها للتابعي أويس القرني والذي اصطحبها معه إلى الكوفة ثم انتقلت ملكية البردة الشريفة إلى ورثته فحافظوا عليها وفي عهد السلطان العثماني عبد المجيد بني مسجد في منطقة الفاتح بمدينة اسطنبول ضم البردة الشريفة

ولأجل ذلك سمي بجامع الخرقة والتي تعرض مع حلول رمضان من كل عام ليراهم الناس. (قناة الجزيرة على اليوتيوب)

ولقد تعددت الخرق بحسب الطرق وكلها يرقى سندها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء القادرية المنسوبة إلى شيخها عبد القادر الجيلاني، أو الأحمدية لشيخها أحمد البدوي، أو الرفاعية لشيخها أحمد الرفاعي، أو الشاذلية لشيخها أبي الحسن الشاذلي، والسهروردية إلى شيخها عمر السهروردي، والمدينية لشيخها أبي مدين... وغيرها كثير ولقد ذكر العيدروسي (ت. 865هـ) أنه لبس الخرقة القادرية فقال: "لبستها من والدي... وهو لبسها من والده... وهو لبسها من عمر بن أحمد جبريل، وهو لبسها من الشيخ عبد القادر بن الجنيد وهو لبسها من أبيه الجنيد بن أحمد." ويمضي بالسلسلة إلى أن يصل لبسها من الشيخ عبد القادر الجيلاني وتتواتر السلسلة إلى أن تصل إلى الحسن البصري "وهو لبس من يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو لبس من رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم بواسطة الروح الأمين" (الحشي، صفحة 617، 618)، وهكذا تحتفظ كل طريقة لخرقتها بأسانيد لها الخاصة لتجتمع عند إمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن طريق أويس القرني أو علي كرم الله وجهه عن طريق الحسن البصري.

6- أبعاد الخرقة الدلالية ورمزيتها الصوفية:

تحمل الخرقة الصوفية دلالات وإشارات ذكرها علماء التصوف فكانت كل قطعة فيها تدل على حال أو توصل إلى مقام فقالوا أن: "قبحا من الصبر، وكماها من الخوف والرجاء، وإبطاها من القبض والبسط، ووسطها من مخالفة النفس، وجيبها من صحة اليقين، وسجافها من الإخلاص" (المجوي، 1980، صفحة 252)، فالخرقة كل جزء منها يذكر العبد بواجب العبودية للخالق الواحد القهار، وهي تدل أيضا على: -الارتقاء في مقامات الحضرة الإلهية: فالخرقة أو المرقعة "لباس جامع لكل مقامات الطريقة والفقر والصفوة". (المجوي، 1980، صفحة 253)

- لعلاج القلوب والتداوي: فهي من أثر الصالحين والذين ببركتهم تصح النفوس، وتداوى القلوب، وتكشف عنها الحجب.

- التشريف: فالخرقة يتشرف بها لابسها إذ ترفع مكانته بين الناس وتزيد قدره فإن ملابس الأكابر تشرف لابسها كما أن خلع الملوك تشرف لابسها". (ابن عبد الهادي، 2002، صفحة 139)

- الإتياع والسلوك: فلا بد للمريد أن يستقيم على أمر الله ويتبع نهج شيخه فهو صورة من تربيته فخرقته " دليل على أنه لقيه، وخدمه، بحيث حمد الشيخ طريقه، وستر به، فألبسه من خرقته حجة له " (ابن عبد الهادي، 2002، صفحة 147)، فإن لم يسر على طريق القوم صارت الخرقه حجة عليه.

7- شروطها:

للخرقة شروط وجب على المنتمي للطريق التزامها وعدم الاستهانة بها، فلا يستحق لبس الخرقه إلا من أخرج الدنيا من قلبه بعد مجاهدة فقد ألف الشيوخ تأديب مريديهم ثلاث سنين: سنة لخدمة الخلق: وذلك بأن يرى خدمته للخلق دون تمييز واجب عليه فلا يشكو ولا يتذمر ولا ينتظر جزاء ولا شكورا. وسنة لخدمة الحق: وذلك بإخلاء قلبه من سوى الحق تبارك وتعالى وعبادة الله مطلقه غير مرتبطة بغرض من أغراض الدنيا أو الآخرة.

وسنة لمراعاة القلب: وذلك بحراسة قلبه من الغفلة، فبأنس بالذكر ويعيش للحق. فإن اجتاز مراحل الطريق ألبسه شيخ الطريقة الخرقه وإن تعثر في الامتحان لم يقبل في الطريقة. أهم شرط للباس الخرقه هي التوبة وإتياع أثر الصالحين، هذا فيما يخص المريد أما بالنسبة للشيخ فاشتروا فيه أن يكون قد تجاوز عقبات الطريق عارفا بالأحوال منتقلا في المقامات مدركا لداء المريد فالشيخ طبيب القلب يدرك ببصيرته ما يصلح لمريده.

وللخرقة حرمتها عند الصوفية فلا يجوز الاستهانة بها ولا التقليل من شأنها ببيعها في الأسواق، "إذ الخرقه مثلا إذا دخلت في النداء في السوق أو غيره تدنس بالأيدي الغافلة، وذلك استهانة بطريق القوم في أعين الناس من العوام" (الشعراني...، 1992، صفحة 136) ولا ينبغي أن تترك على الأرض إذا سقطت من أحدهم.

8- أسماء الخرقه و ألوانها:

من أسماء الخرقه الصوفية:

- الخرقه: وذلك لما يحدث لها من تمزيق أو خرق لطول عهد أو بفعل صاحبها فقد روي أن الشبلي (ت. 334) كان "إذا لبس ثوبا جديدا خرقه، فقال ابن مجاهد: يا أبا بكر، أين في العلم إفساد ما ينتفع به؟ قال الشبلي: (فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ)". (المناهي..، 1999، صفحة 245)

- المرقعة: سميت المرقعة وذلك بتزويق الخرق، وهناك من اشترط العناية والاستقامة في غرز الإبرة حين التزويق.

- الكيل: وقد تتجاوز الخرقة الحد في التزييع حتى تصبح ثقيلة وقد روى أبو منصور القزاز أنّ: "جعفر الخالدي ثنا بن خباب أبو الحسين صاحب ابن الكريني قال أوصى لي ابن الكريني بمرقعته فوزنت فردة كم من أكمامها فإذا فيه أحد عشر رطلا، قال جعفر، وكانت المرقعات تسمى في ذلك الوقت الكيل". (ابن الجوزي، 1421هـ، صفحة 181)

- لباس الفتوة: وجاء لفظ الفتوة من الفتى نسبة لفتية الكهف الذين فروا بدينهم ويرون أنّ الفتى الذي يحق له أن يلبس لباس الفتوة هو من أثر دينه على دنياه وهجر هواه ولحق بخالقه فلا يعص له أمرا. أما عن لونها فلم يكن لها لون محدد في البدء، ولكن سرعان ما اختارت كل طريقة لونا خاصا بها وهناك من جمع بين الألوان، ولكنّ اللون الأزرق كان أظهرها وذلك لأسباب منها أنّ حياة الصوفي القائمة على السفر وكثرة الترحال جعلته يبتعد عن البياض لمرقعته واختار لها ألوانا تتماشى ومقاماته، فكان اللون الأزرق غالب عليها لأنه في ظاهره لا يتسخ بسرعة كما هو حال اللباس الأبيض أما دلالة الأزرق فهو شعار أصحاب المصائب والمريد صاحب حزن دائم على ما فاتته في جانب الحق من تقصير " فواحد لبسه على موت عزيز، والآخر على فوت مقصود لأن الفوت أشد من الموت". (المجوي، 1980، صفحة 250)

9- طقوس لبس الخرقة:

قبل لبس الخرقة لابد من مراسيم فحين يرى الشيخ أن مريده قد اجتاز عقبات الرياضات النفسية وصار مؤهلا لأن يكون من أهل الطريق وأنه جدير بأن يلبس الخرقة ويلبسها فإنه يقوم ب:

1. يتطهر الشيخ و يأمر المريد بالتطهر.
2. توضع الخرقة بين أيديهما
3. يقرأ الشيخ الفاتحة وليس الخرقة بيده المريد قاصدا بذلك الإنابة عن الله ورسوله
4. يذكر له نيتها كأن يقول: ألبسكها كما ألبسني شيخني عن فلان ويذكر سلسلة الخرقة. (التجار، 1998)

وهناك من الطرق من يلقمونه نوعا من الطعام أو "ويديرون بينهم في مجلسهم شربة فيها ملح وماء يشربونها". (ابن تيمية، صفحة 85)

10- رسائل ومؤلفات في خرقة التصوف:

لقد أولى علماء التصوف الخرقة عناية كبيرة محاولين بذلك إثبات شرعيتها بإسنادها للنبي ﷺ ومن هذه المؤلفات:

- (1) "نسبة الخرقة" لحي الدين محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي.
- (2) "بدء العُلقة بلبس الخرقة" لجمال الدين يوسف بن بدر الدين بن عبد الهادي الحنبلي (ت.909هـ).
- (3) "ارتفاع الرتبة باللباس الصلبة" أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن محمد القسطلاني الشافعي (ت.686هـ).
- (4) "سلسلة النسبة المتواترة بين المريدين في لبس الخرقة المباركة و أخذ العهد والتلقين" إسماعيل بن عبد اللطيف بن إبراهيم بن الجمهوري الشافعي (عاش في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري).
- (5) "آداب عمومية لكل طريق" هي رسالة في الخرقة الصوفية، وتفصيلاتها في السلوك، وهي عبارة عن أسئلة وأجوبة. صاحبها أبو الحسن علاء الدين علي بن أبي الوفاء تاج الدين محمد بن أبي الوفاء البدري (ت.844هـ).
- (6) "إتحاف الفرقة برفو الخرقة" لجلال الدين السيوطي.
- (7) "كمال المروءة في جمال الفتوة" لشمس الدين محمد بن علي بن طولون الصالح (ت.953هـ).
- (8) "فصل في الخرقة من ألفية التصوف" لقطب الدين مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري (ت.1162هـ). وهذه الرسالة عبارة عن قصيدة طويلة ضمّنها مقامات وأحوال.
- (9) "البرقة الدهشية في لبس الخرقة الصوفية" محمد بن خليل الطرابلسي المعروف بالقوافجي.
- (10) "البرقة المشيقة في لباس الخرقة الأنيقة" لعلي بن أبي بكر بن عبد الرحم الحضرمي السقاف اليميني (ت.895هـ).

11- الدلالة الأنثروبولوجية للخرقة:

- إنّ الخرقة باعتبارها قطعة قماش تحمل البركة تعود برمزيّتها المقدسة إلى الشعوب البدائية كما يشير جيمس فريزر فهناك كثير من مناطق العالم يعتقدون بوجود قوى خارقة لحكامهم لذلك فهم يقومون بطقوس دينية احتفالية عند حلول الحاكم عليهم. "أما القبائل التي لا يستطيع زيارتها لبعدها فكانت ترسل إليه بقطعة

- صغيرة من قماش أبيض مع قليل من الذهب أو الفضة فإذا باركها بقدراته التوليدية دفنوها في حقولهم وانتظروا بكل ثقة محصولاً وفيراً". (فريزر، 2011، صفحة 81)
- ومع ظهور الأديان أصبح للباس قيمة روحية أخلاقية ، وله جانب هام ضمن الطقوس الدينية يذكر - جيمس فريزر أنه في القرن الثالث عشر كانت هناك فئة دينية ينتقل أتباعها "من مكان إلى آخر بملابسهم الغريبة يتسولون لقمة العيش بصياح وصخب. ويزدرون كل ألوان العمل الشريف لأنه عقبة في طريق التأمل الإلهي والارتقاء بالروح" (فريزر، 2011، صفحة 83) . كما ذكر أن نساء هذه الفئة تتخلي عن ملابسهن لأنها تحول دون وصول الروح "إلى درجة التواصل مع الروح الإلهية التي هي مركزها و أصلها كان هذا التقدم نحو التواصل الصوفي" (فريزر، 2011، صفحة 83) فالهدف الأساس من الزهد في اللباس هو تربية النفس والسمو بالروح عن الماديات والتعلقات الأرضية.
- كما اتخذ الإنسان جسده واجهة لإظهار هويته الدينية والثقافية فهو يبرز من خلاله انتماءه للجماعة و هذا ما أكدته دافيد لوبروتون أن للجسد آلية أنثروبولوجية "باعتباره الوسيط الوحيد القابل لجعل الآخرين يعترفون بوجوده، والقادر على الحفاظ بالنسبة لنفسه على هوية لن يكون لها معنى بغير هذه الطريقة". (لوبروتون، 1997، صفحة 172) التي تجعل منه عضواً من أعضاء المجموعة
- فالجسد يحول إلى شاشة حسب تعبير دافيد لوبروتون فبواسطته "يؤثر الفرد رمزياً على العالم الذي يحيط به". (لوبروتون، 1997، صفحة 172) من خلال ما يرتديه من لباس معين يحمل بالرموز.
- إنَّ العهد الذي تجسده بعض الطرق الصوفية باللباس الخرق لمليديها هو تأكيد لانتماء الفرد للجماعة "فهو تعبر عن علاقة قوة إنما علاقة مرمزة". (أوجيه و كولان، 2008، صفحة 16) لها خصوصيتها وقديستها في الفكر الصوفي.

خاتمة:

ختاماً لما سبق وعلى ضوء الفرضية العامة التي تم الانطلاق منها يمكننا القول أن للخرقة الصوفية دلالات أنثروبولوجية دينية، ثقافية واجتماعية تطورت عبر العصور فهذه القطعة من القماش أحاطها الإنسان بحالة قدسية استوجبت قيامه بطقوس خاصة اختلفت باختلاف المجتمعات، فهي عند الإنسان البدائي المؤمن بالقوى الخارقة تحمل طاقة سحرية تحول الأرض من جذباء إلى خصبة موفورة الإنتاج.

أما الإنسان المتدين فقد جعل لباسه الذي يستر جسده جسر عبور لتواصل روحه مع الروح الإلهية.

ومع مرور الزمن وتطور المفهوم صار اللباس الخاص دلالة على انتماء الفرد لجماعة بعينها. وفي دلالات الخرقه عند الصوفية نجد أن :

- اختيار اللباس يعبر عن طريقة سير وسلوك فالصوف والحنس من اللباس مع إمكانية لبس غيره، هو زهد في متاع الدنيا الفانية، أما الخرقه والتي رآها المتصوفة أنها اللباس الأول للبشرية وهي الحاملة للرسالة الكونية في أن الإنسان خليفة الله على هذه الأرض، فهي العهد الأول.
- والخرقه الصوفية تحمل دلالات وإشارات تتمثل في تأديب النفس بالباسها ما تكره، فتتحلى بخلق التواضع للخلق، والانكسار للحق، وأن يصبر على أذى الناس، ويأنس بقرب الله عز وجل.
- والباس الخرقه يعني أنه عاهد شيخ الطريق بأن لا يحيد عن نهجه، وأنه يتربى على يديه، وهي له عصمة.

- والخرقه حلة يتزين بها المريد ويتشرف بانتسابه للطريقة ولبسه لخرقتها، وفيها تحلية إذ يحل على المريد من أخلاق الشيخ فتزول عنه الرذائل وتحل الفضائل.
- وإسناد الخرقه المتصل بالصالحين والمنتهي إلى رسول الله ﷺ جعل لبسها مطلب يسعى إليه المريد. ومهما اختلفت الآراء حول الخرقه وصحة إسنادها للنبي عليه الصلاة والسلام إلا أن الأكيد أن الخرقه بالمفهوم الصوفي لم تكن موجودة في عصر النبوة ولا في عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، وأن ظهورها قد ارتبط بظهور بعض الطرق الصوفية.

قائمة المصادر والمراجع:

• الكتب:

1. أحمد ابن تيمية. مجموع الفتاوى (ج11). طبعة الأوقاف السعودية.
2. أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني. (1969). البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي تحقيق: أحمد محمد مرسى النقشبندى. (ط1). القاهرة- مصر: مطبعة السعادة.
3. أحمد بن محمد بن عجيبة. (1999). البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. (ج2). تحقيق: أحمد عبد الله القرشي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
4. الإنجيل. العهد الجديد، أنجيل متى. رسالة بولس إلى غلاطية.
5. البخاري. (2002). صحيح البخاري. (ط1). دمشق- بيروت: دار ابن كثير.

6. بدر الدين حسن ابن عبد الهادي. (2002). بدء العلقة: رسائل من التراث الصوفي. تحقيق: إحسان ذنون الثامري، ومحمد عبد الله القدحات. عمان- الأردن: دار الرازي.
7. أبو بكر محي الدين ابن عربي. (1996). الديوان. شرحه: أحمد حسن بسج. (ط1). بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.
8. بولس الفغالي، و أنطوان عوكر. (2007). العهد القديم ترجمة بين السطور عبري/عربي. الجامعة الأنطونية.
9. جلال الدين السيوطي، و جلال الدين المحلي. (2008). تفسير الجلالين. (ط1). الجزائر: دار الإمام مالك.
10. جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. (1421هـ). تلبيس إبليس. بيروت- لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
11. أبو حامد محمد الغزالي. (2016). إحياء علوم الدين. (ج3). بيروت: دار المعرفة.
12. الحبيب عيروس بن عمر الحبشي. عقد البيواقيت الجوهريّة وسمط العين الذهبية. (ج1). تحقيق: محمد بن أبي بكر عبد الله باذيب. عمان- الأردن: دار الفتح للدراسات والنشر.
13. زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي. (1999). الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (ج2). تحقيق: محمد أديب الجادر. بيروت- لبنان: دار صادر.
14. السهروردي. (2006). عوارف المعارف (ج1). تحقيق وضبط: أحمد عبد الرحيم السايح، وتوفيق علي وهبة. القاهرة- مصر: مكتبة الثقافة الدينية.
15. عامر النجار. (1998). الطرق الصوفية في مصر نشأتها وتنظيمها. (ط6). مصر: دار المعارف.
16. عبد الرؤوف المناوي. (1990). التوقيف على مهمات التعاريف. (ط1). تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان. القاهرة: عالم الكتب.
17. عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى الطوسي. (2008). اللمع في التصوف. القاهرة: شركة القدس للنشر والتوزيع.
18. عبد الواحد ابن عاشر. (1343هـ). متن ابن عاشر. الجزائر: المطبعة الثعالبية.
19. عبد الوهاب الشعراني. (1988). الأنوار القدسية في معرفة قواعد التصوف. (ج1). حققه: طه عبد الباقي سرور، والسيد محمد عيد الشافعي. بيروت- لبنان: مكتبة المعارف.
20. عبد الوهاب الشعراني. (1992). الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية. (ج2). حققه: طه عبد الباقي سرور، والسيد محمد عيد الشافعي. بيروت- لبنان: المكتبة العلمية.
21. عبد الوهاب الشعراني. (1998). درر الغواص عن فتاوى سدي إلي الخواص. مصر: مكتبة الأهرية للتراث.
22. علي البدري. رسائل من التراث الصوفي في لبس الخرقه: آداب عمومية لكل طريق. غزة: المكتبة المركزية- الجامعة الإسلامية.
23. أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي. (2000). تفسير القرآن العظيم. (ط1). بيروت- لبنان: دار ابن حزم.
24. أبو القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيري. (2005). الرسالة القشيرية. (ط3). بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.

25. محمد بن الخليل القاوقجي. البرقة الدهشية في لبس الخرقة الصوفية.
26. مظهر صالح ضاري. (2012). الروح الصوفي جمالية الشيخ في زمن التيه. (ج1). دمشق - سوريا: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع.
27. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب. (مج10). بيروت - لبنان: دار صادر. مادة (خرق).
- الكتب المترجمة:
28. جيمس جورج فريزر. (2011). الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين. (ترجمة: محمد زياد كبة). (مراجعة: سعد البازعي). هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.
29. دافيد لوبروتون. (1997). أنثروبولوجيا الجسد والحداثة. (ط2). (ترجمة: محمد عرب صاصيلا). بيروت - لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
30. مارك أوجيه، جان بول كولانين. (2008). الأنثروبولوجيا. (ط1). (ترجمة: جورج كتوره). بيروت - لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
31. المحجوري. (1980). كشف المحجوب. ترجمة: إسعاد عبد الهادي قنديل. بيروت - لبنان: دار النهضة.
- الكتب الأجنبية:
32. Kamel, F. (1993). *Dictionnaire des termes soufis, Français-Arabe- Anglais*. Beyrouth: DAR EL-JIL: rtoussaint@aci.ca
33. Van Gennep, A. (2014, mars 27). *Les rites de passage: Etude systématique des rites*. Récupéré sur Edition électronique:
- الموسوعات:
34. الموسوعة العربية.
- المواقع الإلكترونية:
35. تقي الدين عبد الرحمن ابن عبد المحسن الأنصاري. طبقات خرقه الصوفية المسمى تريات المحبين في طبقات خرقه المشايخ العارفين. (ج1). موقع الطريقة الرفاعية: <http://www.gamei-rifai.com>